مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٩)

الوجود العثمانى فى منطقة الإحساء
١٨٧١ - ١٨٧٢م

إعداد

د / على صالح محمد عبيضه

دولة قطر

السنة ٢٥ العدد (٩٩) أكتوبر ٢٠١٤م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

Scanned with CamScanner

الوجود العثماني في منطقة الإحساء

١٨٧١ – ١٨٧٢م

الدكتور/ على صالح محمد عبيضه

دولة قطر

لم تتناول أقلام الباحثين اتجاه الدولة العثمانية لمنطقة الإحساء باهتمام يناسب هذا الحدث الكبير خاصة من خلال الوثائق العثمانية التي أفرج عنها وإن كنا لا ننكر أن هناك بعض الكتابات التي تعرضت للموضوع والتي اعتمدت في تحليلها وتفسير أحداثها على بعض الوثائق الأوروبية والدراسات التي كتبت بأقلام عربية في هذا الصدد، ولكن الكتابات التي اعتمدت وتعتمد على الأرشيف العثماني تكاد تكون قليلة وإن كان أهمها دراسة **للدكتور فيصل عبدالله الكندري** حول الحملة العثمانية على **الإحساء** وكذلك بعض الترجمات لأهم الوثائق العثمانية المتعلقة بهذا الموضوع والتي تمثلت في ٦ ملفات تحمل كل منها مسمى (إرادة داخلية) تحت أرقام منظمة في الأرشيف العثماني على النحو التالي:

١- إرادة داخلية Irade Dahiliye 42472.

٢- إرادة مجلس مخصوص Irade Mahsus 1607.

٣- إرادة داخلية Irade Dahiliye 44002.

٤- إرادة داخلية Irade Dahiliye 44196.

٥- إرادة داخلية Irade Dahiliye 44320.

٦- إرادة داخلية Irade Dahiliye 44930.

وهذه الملفات المحفوظة في الأرشيف العثماني عبارة عن مجموعة رسائل وتقارير وبعض التعليمات الصادرة من العاصمة العثمانية إلى الولاة لتنفيذ سياسة الدولة العثمانية وإن كانت لنا ملاحظة حول هذه الوثائق فإننا نقول أنها تحمل تكرار كثير من المعلومات والبعض منها ملئ بالمحسنات اللفظية الكثيرة مما قد يؤدي أحياناً إلى اختلال المعنى وفي نفس الوقت يتضح لمن يتتبع مضمون هذه الوثائق أن الدولة العثمانية حاولت خلق نوع من الفرقة بين **آل سعود** وأتباعه ونعتت سعوداً

Scanned with CamScanner

بالمنشق أو العاصي، والكثير مما ورد في الأرشيف العثماني من وثائق يجد توضيحا أكثر في بعض الوثائق البريطانية التي يضمها فيما يتعلق بموضوع **الإحساء** الذي نحن بصدده أرشيف دولة الإمارات العربية المتحدة في أبوظبي حيث توجد نسخة مصورة من الوثائق البريطانية في القسم البريطاني بالمركز، وقبل أن نتطرق للحملة العثمانية على **الإحساء** علينا أن نتكلم عن أوضاع الجزيرة العربية لمعرفة الظروف السياسية الخاصة بالمنطقة والتي دفعت والي بغداد **مدحت باشا** لإرسال حملة إلى هضبة نجد لإعادة الهيمنة العثمانية على المنطقة(١).

وكما هو معلوم أن **آل سعود** استطاعوا استرداد نفوذهم في نجد في أعقاب سقوط الدرعية(٢) عاصمة الدولة السعودية الأولى على يد إبراهيم باشا(٣) ابن محمد على بفترة قصيرة حيث نجح **تركي بن عبدالله**(٤) في استخلاص الرياض من يد قوات محمد على واتخاذها عاصمة لحكمه منذ عام ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤م، وكان ذلك التاريخ هو بدء ميلاد الدولة السعودية الثانية وأراد **تركي** أن يسترد معظم الأقاليم التي كانت خاضعة للدولة السعودية الأولى ليعيد لهذه الدولة أمجادها ولكنه لم يتمكن حيث اغتيل على يد أحد أفراد أسرته في عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م(٥).

وفي أثناء ذلك كان **فيصل بن تركي** على رأس حملة في شرقي الجزيرة العربية لتوطيد الحكم السعودي بها فلما عَلِمَ بمقتل أبيه عاد إلى الرياض وتسلم مقاليد الحكم واستمرت فترته الأولى ما بين ١٢٥٠ – ١٢٥٤ هـ، ١٨٣٤ – ١٨٣٨ م، وقد تمكن فيصل بن تركي خلال هذه الفترة الأولى من حكمه تثبيت نفوذه في وسط الجزيرة العربية وشرقها وفي مناطق عمان التي استمرت قبائلها بالتبعية له ودفع الزكاة الأمر الذي دفع بمحمد على باشا أن يتدخل بعد أن شعر أن الدولة السعودية بدأت تستعيد عافيتها على يد فيصل بن تركي وأرسل إليها حمله عسكرية الحقت به الهزيمة في عدة مواقع وقامت قوات محمد على بنقله إلى القاهرة في رمضان ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م وانتهت بذلك الفترة الأولى من حكمه.

وبعد انسحاب قوات محمد على من شبه الجزيرة العربية تطبيقا لاتفاقية لندن ١٨٤٠م نشب خلاف بين البيت السعودي وأفرج عن فيصل بن تركي من الأسر عام

Scanned with CamScanner

١٢٥٩ هـ/ ١٨٤٣ م حيث استطاع حسم أمر النزاع بعد جهد كبير ليبدأ فترة حكمه الثانية التي امتدت حتى تاريخ وفاته ١٨٦٥م / ١٢٨٢هـ وقد تمكن فيصل خلال فترة حكمه الثانية من استرجاع كل المناطق التي كانت تابعة لأسلافه باستثناء الحجاز[٦] ووصل نفوذه إلى جبل شمر والبادية والبحرين[٧] وقطر وعمان[٨].

وقد توفي فيصل بن تركي تاركا اربعة أولاد هم عبدالله وسعود ومحمد وعبدالرحمن، وقد شهدت الدولة السعودية الثانية بعض الحروب الأهلية بعد وفاة فيصل حيث تنازع ولداه عبدالله وسعود على الحكم وكان سعود قد بايع اخاه عبدالله الحكم بعد وفاة أبيه ولكن لم يمض عام واحد إلا وقد خرج سعود عليه.

وهناك عدة عوامل دفعت سعود للقيام بذلك منها الرغبة لتولي السلطة ولا سيما بسبب طول المدة التي قضاها سعود أميرا في جنوبي نجد خلال حكم أبيه وقيام عبدالله بتوجيه ضربات موجعة لقبيلة العجمان وكان بين تلك القبيلة وسعود صلة رحم[٩] وقد خرج سعود بن فيصل من الرياض ثائرا ضد أخيه وتوجه إلى عسير وبعث عبدالله وفداً إلى أخيه يستميله ويقنعه بالعودة ولكن دون جدوى إلا أن سعود لم يحظى بأي تأييد كما كان يتوقع في عسير فخرج منها متوجها إلى نجران فوجد الدعم والمناصرة كما تلقى دعم بعض القبائل مثل العجمان والمرة والشامل وبدأ يتشجع لمحاربة أخيه عبدالله فانطلق من نجران إلى وادي الدواسر، وجهز عبدالله جيشاً بقيادة أخيه محمد بن فيصل للحد من تقدم سعود وجرح سعود[١٠] وهزم في المعتلى عام ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م وتوجه سعود بعد هذه الهزيمة إلى عمان ومنها إلى البحرين وبدعم من الانجليز جعل أمير البحرين بلاده مركزاً لنشاط سعود فقام بمهاجمة المناطق التابعة لأخيه عبدالله في قطر ولكنه مُني بهزيمة أخرى، ولكن سعود لم ييأس فعاود نشاطه بعد أن درس أخطائه والتقى الأخوان في جودة[١١] عام ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠م وانتصر سعود في المعركة وأسر أخاه محمد وبهذا الانتصار استولى سعود على بلدان المنطقة الشرقية بدون عناء وسقطت المنطقة في يده[١٢].

Scanned with CamScanner

وهنا جمع عبدالله ثروته وغادر الرياض متوجها إلى جبل شمر ولم يلق تشجيعا هناك فرأى أن يستنجد بمدحت باشا[١٣] الوالي العثماني على بغداد على أمل أن يساعده العثمانيون.

وأرسل عبدالله عبدالعزيز ابو بطين لمقابلة مدحت باشا وهنا وجد مدحت باشا الزريعة لدخول نجد نصرة لعبدالله الفيصل[١٤]، وتجمعت بعض القبائل حول عبدالله بن فيصل وعاد إلى الرياض وزحف سعود على المدينة بقوات كبيرة فأثر عبدالله الخروج منها انتظارا للدعم العثماني فدخل سعود الرياض فأخذ البيعه من سكانها فلما استقر بالرياض ارسل جيشا لمحاربة عبدالله ودارت بينهم معركة في البره[١٥] وانتصر سعود وهزم عبدالله وجهز مدحت باشا جيشا بقيادة الفريق نافذ باشا وسار إلى شبه الجزيرة العربية ونجح نافذ في السيطرة على المنطقة الشرقية مما شجع الموالين لعبدالله في الرياض على الخروج في وجه سعود فثار عليه عمه عبدالله بن تركي وأجبر على مغادرة الرياض متوجها إلى الإحساء وبدأ بمقاومة الجيش العثماني ولم ينجح سعود عسكريا وارسل اخاه عبدالرحمن بن فيصل إلى بغداد في عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م ليتفاوض مع مدحت باشا الذي لم يبد أي استعداد للتفاوض حول سحب قواته بل أبقى عبدالرحمن رهينة عنده في بغداد ولم يطلق سراحه إلا عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م[١٦].

أما عبدالله الفيصل فقد ساوره الشك في نوايا مدحت باشا فلم يمكث وقتا طويلا في الإحساء وهرب إلى الرياض فلما وصلها سلمه عمه عبدالله التركي مقاليد الحكم.

لقد كانت الإحساء محطة للأطماع الدولية والإقليمية وكما هو معروف فإن العثمانيين وصلوا إلى منطقة الخليج العربي في منتصف القرن السادس عشر وقسموا المنطقة إلى عدة وحدات إدارية وهي التي اطلق عليها اسم الايالات أو ولايات من أجل تسهيل عملية إدارتها وبعدها لم يظهر العثمانيين اهتماما كبيرا بالخليج العربي من ناحية لأن تركيز الدولة العثمانية كان في أوروبا، ومن ناحية أخرى لم تكن منطقة الخليج مصدر الأطماع الدولية أو الصراعات الإقليمية وبالتالي لم يظهر

Scanned with CamScanner

العثمانيين اهتماماً كبيراً بها، الأمر الذي جعل المنطقة فيما بعد لقمة سائغة للقوى الأوروبية المختلفة مثل هولندا ومن قبلها البرتغال، وأخيرا بريطانيا ولم تشهد منطقة الخليج العربي أي وجود لأي قوات عثمانية إلا في منطقة البصرة.

ومن هنا يمكن أن نقرر أن معظم مشيخات الخليج كانت تدين بالولاء الديني للسلطان العثماني فقط بحكم الرابطة الدينية الإسلامية وقد استمر وضع الخليج العربي على هذا المنوال حتى الستينات من القرن التاسع عشر الميلادي ويمكننا تعليل عزوف الدولة العثمانية عن التدخل العسكري في الخليج قبل هذا التاريخ إلى عدة عوامل نوجزها في التالي:

١- عدم رغبة الدولة العثمانية في التصادم مع القوتين اللتان كانتا تسيطران إلى حد بعيد في منطقة الخليج هما بريطانيا صاحبة أقوى أسطول في العالم وصاحبة النفوذ في المنطقة، ودولة فارس التي نشطت في هذا الوقت لتصبح قوة إقليمية ليس من السهل إزاحتها.

٢- انشغال الدولة بمشكلاتها وقضاياها مع أوروبا وبالذات حروبها مع روسيا والنمسا والمجر.

٣- ضعف الهيكل العسكري للدولة العثمانية.

٤- انتشار الفساد في الدولة خاصة جهازها الإداري.

إلا أنه لم يستمر الحال طويلا على هذا العزوف حيث بدأت الدولة العثمانية تنتهج سياسة جديدة في منطقة الخليج للتخفيف من وطأة النفوذ البريطاني ومواجهة أطماع بلاد فارس ابتداء من عام ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م وهذا التحول يرجع للأسباب التالية:

أولاً: تعيين الدولة العثمانية مدحت باشا[١٧] واليا على بغداد لمدة أربع سنوات بين عامي ١٨٦٩م - ١٨٧٢م، ١٢٨٦هـ - ١٢٩٠هـ وكان لمدحت باشا دور خطير في تثبيت أركان الدولة في منطقة بغداد والجزيرة العربية حيث كان يرسل تقارير دولية للعاصمة اسطنبول حاول خلالها لفت أنظار الدولة لأهمية هذه المنطقة[١٨].

Scanned with CamScanner

ثانياً: فتح قناة السويس[١٩] أمام الملاحة العالمية عام ١٨٦٩ وساعد ذلك على توفير الوقت والمال حيث كانت السفن تتوجه إلى طريق رأس الرجاء الصالح وبذلك تم إعادة الطريق المائي القديم والذي يمر عبر البلاد الإسلامية ودبت الحياة من جديد في البحر الأحمر[٢٠] كمعبر مائي يصل بين الشرق والغرب.

ثالثاً: كان للخلاف العائلي الذي حدث في البيت السعودي بين حكام نجد وعقب وفاة الأمير فيصل بن تركي مما أدى إلى وقوع سلسلة من الحروب الأهلية بين الأمير عبدالله وأخيه الأمير سعود على السلطة حيث أخذ كل طرف منهما يبحث عن حليف قوي يساعده في الاستحواذ على كرسي السلطة فلجأ سعود إلى بريطانيا بينما توجه عبدالله إلى الدولة العثمانية التي اتخذت من هذا الصراع ذريعة إرسال جيش إلى شبه الجزيرة العربية لفرض الهيمنة العثمانية عليها.

رابعاً: إكساب الجيش العثماني الخبرات العسكرية القتالية بعد معاركه الطويلة أمام روسيا في حرب القرم وتكوين جيش نظامي جديد بعد أن نجح السلطان العثماني محمود الثاني في القضاء على الانكشارية الذي أصبح نظاما عتيقا في الدولة وكون جيشا عصريا جديدا مزود بأحدث الأسلحة وبدأت الدولة في ظل هذا الوضع تفرض سلطانها من جديد على المناطق الخارجة على سلطانها.

ولم يكن مدحت باشا مجرد والياً عادياً على بغداد بل كان له من الخبرة والحيوية والنشاط ما جعله قادراً على أن يضع بصمته على كل منطقة يعين عليها حاكماً أو مسئولاً ولذا لا نستغرب أنه منذ أن تولى ولاية بغداد بدأ بمعاينة المنطقة ليكتب إلى الحكومة المركزية في استامبول عن الإصلاحات الواجب القيام بها في تلك المنطقة من أجل النهوض بالولاية من ناحية، ومن ناحية أخرى لتحسين وضعها الاقتصادي وعمل المزيد من تحصيناتها العسكرية ولتكون نقطة انطلاق يستطيع من خلال ولايته على بغداد إعادة الهيمنة العثمانية على الأجزاء المنسية من أطراف الدولة حتى لا تكون لقمة سائغة للعابثين بالقانون وحتى لا يعطي فرصة لإعلان انفصالها عن الدولة أو جعلها فريسة سهلة للقوى الأجنبية التي أخذت تهيمن على البحار وتفرض سيطرتها على بعض أطراف ممتلكات الدولة العثمانية.

Scanned with CamScanner

ويمكننا تلخيص إصلاحات مدحت باشا في بغداد في النقاط التالية:

- قيامه[٢١] مرة في منطقة الإحساء والقطيف بكتابة تقارير عن الخيرات الموجودة والموارد الطبيعية للمنطقة وسخر من حصيلة الضرائب التي كانت تجمع من الأراضي الزراعية في المنطقة وكان أن نبه بذلك السلطات العثمانية بالأستانة إلى أهمية هذه المناطق الاقتصادية.
- إرساله رسالة مطولة إلى استامبول بتاريخ مارس ١٨٦٩ يخبر المسئولين في العاصمة العثمانية عن سوء الأحوال العسكرية والحربية في ترسانة البصرة وأن استمرار الإهمال في هذه الترسانة قد يؤدي إلى كارثة وطالب باهتمام السلطات العثمانية بإعادة بنائها وإرسال سفن جديدة إلى البصرة[٢٢].

ومن يقرأ تقارير مدحت باشا عن الأوضاع العسكرية في ولاية بغداد يدرك تماماً الدرك الأسفل الذي وصلت إليه الدولة العثمانية في بعض ولاياتها وكيف وصلت أحوال البحرية العثمانية في منطقة الخليج، مما أعطى فرصة للإنجليز للتوغل في هذه المناطق وسهّل عليهم احتلال ميناء عدن ومد نفوذهم إلى مسقط، كما وفر هذا الدفع المخل من حيث ضعف القوة العسكرية بالممتلكات العثمانية في منطقة شبه الجزيرة العربية تربة خصبة لنشر السفن الإنجليزية لإيجاد موطئ قدم لها فيها.

ومما هو جدير بالذكر، أن غياب الدولة العثمانية في منطقة الخليج أعطى بلاد فارس الفرصة للإدعاء بتملك البحرين، فعجز الدولة وضعفها في نظر الأهالي جعل هؤلاء يتجاوبون مع طموحات الأجانب في السيطرة على بلادهم، خاصة وأنهم – الأهالي – لم يكونوا يملكون القدرة على التصدي للهيمنة الأجنبية غير إسلامية.

وقد حاول مدحت باشا من جانبه أن يطالب الدولة العثمانية بتواجد مكثف في خليج البصرة وفي سواحل المحيط الهندي الجنوبية والبحر الأحمر، كما طالب بإرسال عدد من الضباط الأكفاء لتنظيم الإدارة البحرية[٢٣].

وتشير الوثائق العثمانية الصادرة بتاريخ ٢٦ ذو القعدة ١٢٨٦هـ، ٢٨ فبراير ١٨٧٠م بأن الدولة العثمانية قامت بشراء سفينتين من لندن أطلق على الأولى اسم بابل[٢٤] بمبلغ إجمالي وقدره تسعة وثلاثون ألف ليرة وثمانمائة وسبعة وسبعون وأربعة

Scanned with CamScanner

شلنات وست بنسات، أما السفينة الأخرى فأطلق عليها اسم **آشور**، ويبلغ إجمالي قيمتها إحدى عشر ألفاً ومائتان وعشرون ليرة، وكانت قوتها ١٢٠ حصان وتم تسليم هاتين السفينتين إلى إدارة عمان العثمانية.

ومما هو جدير بالذكر، أن مدحت باشا لم يلبث أن استثمر هاتين السفينتين لنقل الحجاج والمؤن من البصرة إلى جدة، وكان لها محطات تتوقف فيها للتزود بالفحم على طول الطريق من مسقط وعدن ومخا، وكان مدحت باشا ذكياً في غيرته على تحسين أوضاع الدولة العثمانية في الخليج، كلما شاهد إحكام بريطانيا سيطرتها على مدخل المحيط الهندي ومدخل البحر الأحمر، خاصة بعد استيلائها على عدن وكان يغري السلطات العثمانية في الأستانة بأن وظيفة السفينتين في فترة السلم لا تقل أهمية عن وظيفتها في وقت الحرب حيث كان يستخدم هذه السفن في دفع عجلة التجارة بين منطقة الخليج العربية وبين الهند والدول المجاورة لها، وتكشف لنا إحدى الوثائق العثمانية التعليمات التي أعطيت لقائد مدحت باشا المسمى **نافز باشا** قبل توجهه إلى نجد من منطقة الأحساء بأن حملته على نجد كانت بأمر السلطان أنه كان من الملاحظ أن هذه الوثيقة لم تكن مذيلة بتوقيع وقد كتبت بتاريخ ٦ صفر ١٢٨٨هـ / ٢٧ إبريل ١٨٧١م على هيئة مواد بلغت في مجملها ١٥ مادة ويمكن تلخيص التعليمات التي وردت في هذه الوثيقة إلى نافز باشا من حاكم ولاية بغداد **مدحت باشا** في النقاط التالية:

١- **خطة الحرب:** أنه بعد إعداد الرجال والسلاح في البصرة يتوجه إلى سواحل القطيف بالسفن التي أعدت لهذه الغاية ومع استعداد كل من عبد الله الفيصل مع شعائر من الرياض وحاكم الكويت.

٢- **طالب مدحت باشا القوات البرية** أن تتخذ موقعاً مناسباً تحت حماية البواخر العثمانية ومدافعها.

٣- **حددت الأعمال العسكرية في القطيف** وسواحل الأحساء وقطر بالترتيب. ومع وصول العساكر العثمانيين فإنه من المتوقع أن سعود الفيصل لم يمكنه البقاء بالقطيف والأحساء وسيترك أمر تعقبه لفرسان العشائر وليست للقوات العثمانية.

Scanned with CamScanner

٤- في حالة فرار سعود الفيصل أو هزيمته جاءت تعليمات مدحت باشا إلى القوات العثمانية أن تتصرف بحذر من ردة فعل العرب أو أهالي تلك المناطق فطالب بضرورة تكليف المشايخ المرافقين للجيش العثماني إحضار الشيوخ والشخصيات البارزة في الأحساء والقطيف لتكريمهم وتأمينهم ووضع بعض القوات العثمانية معهم لضمان استتباب الأمن مع إبقاء المشايخ المذكورين كرهائن ولكن دون إظهار هذا الشيء بشكل مباشر.

٥- جاءت التعليمات التي أرسلها مدحت باشا مع قائده نافز باشا أنه لا ينبغي تعقب سعود الفيصل في حالة فراره بمفرده أو مع أحد من أتباعه إلى جزيرة البحرين وإنما يكون تعقبه حتى الساحل فقط.

٦- كان الهدف الأساسي من هذه التحركات هو إعادة حكم عبد الله الفيصل أو السيطرة على هذه الأماكن وتحويلها إلى متصرفية ويتعين تعريف عبد الله الفيصل بهذه الأماكن قبل إقامة العسكر بها ووضع بعض من العسكر لتأمين إبقاؤه (إبقاء عبد الله الفيصل) في وظيفته مع إلباسه الخلع هو والمشايخ.

٧- يتعين تحويل اسم قائم مقام (عبد الله) إلى متصرفية وتعيين قائم مقام على كل من القطيف والإحساء وقطر وتعيين مدير على كل محطة صغيرة بدلاً من شيخ وإذا ولد ذلك ردة فعل من العرب من هذه التغيرات فيترك لقب قائم مقام لعبد الله الفيصل ويعين الآخرون بلقب مدير، كما يتم تعيين نائب حنبلي المذهب من الأهالي على تلك المناطق وعلى الرياض والقصيم.

٨- على عبد الله الفيصل تقديم مساعدات مالية لتغطية بعض النفقات المادية للحملة العسكرية من أمواله الخاصة لأنه سبق أن تعهد بذلك.

٩- قد يتخوف أهالي هذه المناطق من تحركات جيوش عثمانية بهذا الحجم وربما يصابون بالهلع، لذا يلزم إعطاء الضمانات اللازمة بأن هذه الجيوش لم تأت لأخذ الأموال أو فرض الرسوم والضرائب وإنما للحفاظ على ممتلكات الدولة ورعاياها المخلصين، وأن الدولة العثمانية لم تقم بفرض أي ضرائب جديدة أو

Scanned with CamScanner

رسوم سوى الزكاة والعشور وذلك لمنع من تسول له نفسه لزعزعة ثقة الأهالي بالدولة.

١٠- في حالة فرار سعود الفيصل إلى البحرين فإن ذلك سيحدث فرقة بين الأهالي[٢٥]، ولتجنب ذلك يلزم إعطاء عقود السلطان وتأمينه إلى أهالي البحرين لإخراجه آمناً من هناك وعندها يرسلون عريضة لطلب الحماية على أن تكون هذه التدابير سرية ويقوم بها جسر اللواء حمدي باشا نظراً لضلوعه بالأحوال السياسية الخارجية.

١١- الدولة العثمانية كانت حريصة على أن تعتمد الحملة على موارد ذاتية وظهر أنها لم تقدم أي مساعدات لفرسان القبائل المصاحبة للحملة باستثناء بعض الأطعمة لفرسان **عنزة** الذين كانوا ينتظرون قدوم العساكر في أعالي الكويت وكذلك فرسان **المنتفك**.

١٢- أوصى مدحت باشا بضرورة مراعاة العدل وضمان عدم الاعتداء مطلقاً على حقوق أي فرد وأن يعامل العساكر معاملة طيبة وأن تدفع قيمة المشتريات الخاصة بهم ولا تؤخذ مجاناً ولو على سبيل الهدية.

وعند انتهاء المهمة كانت تعليمات مدحت باشا تقضي بإقامة معسكر تحت قيادة أحد القادة العسكريين المناسبين وذلك لضمان الأمن والأمان في هذه المناطق واستمرار خضوعها للسلطة العثمانية والمتأمل لما ورد في تلك التعليمات يدرك أن من الأهداف الأولية لهذه الحملة العثمانية إرجاع **نجد** إلى حظيرة الدولة العثمانية وأن الدولة قد تعلمت من دروس التاريخ ضرورة عدم إهمال رعاياها وعدم ترك سواحلها بلا حماية وضرورة تقوية مناطق حدودها عسكرياً وحرصها على الجزيرة العربية حيث جاء ضمن منشورات الدولة لقادتها ولأهالي منطقة نجد بياناً باللغة العربية صدر في ٢٩ محرم ١٢٨٨هـ ، ٢١ إبريل ١٨٧١م خصص لأهالي نجد وقد ورد في ديباجته الأولى:

"أيها الناس والعشائر الساكنون في الأحساء والقطيف وجهات نجد كافة قد حاولت الدولة العثمانية من خلال هذا الإعلان أن تبين العوامل التي دفعها لإرسال

Scanned with CamScanner

جيوشها إلى نجد وأوضحت أنها لم ترسل تلك القوات إلا لإعادة الأمن بعد ظهور القلاقل بسبب خروج بعض الأفراد والقبائل على سلطة الدولة وإنما حاولت إرجاع الأمور إلى نصابها بالطرق السلمية من خلال إسداء النصح لذلك اضطرت إلى إرسال العساكر عندما لاحظت عدم جدواها".

وبينت الدولة في بيانها السالف الذكر أن سعود الفيصل خرج عن السلطة العثمانية وأغرى البعض الذين انساقوا خلفه وخرج على سلطة أخيه عبد الله الفيصل المعين قائم مقام على نجد من قبل الدولة العثمانية فارتكب بذلك ثلاثة جرائم، الأول التجاوز والخروج على حكومة أخيه، والثاني تشجيع الأهالي والقبائل على محاربة بعضها البعض، أما الجرم الثالث فقد كان الخروج على سلطة الدولة العثمانية وعصيان أوامر الخليفة.

كما أثار البيان أن ذلك كله كان هو السبب الرئيسي لأن ترسل الدولة فرقة عسكرية من بغداد تحت قيادة الفريق نافز باشا مع أركان الجيش السادس[٢٦] بهدف المحافظة على سلطة ومكانة الدولة وإرجاع نجد إلى عهدة عبد الله الفيصل صاحب السلطة الشرعية المقترح من قبل الدولة العثمانية.

وقد حاولت الدولة العثمانية في تعليمات مدحت باشا إلى نافز باشا أن تغري سعود أخو عبد الله للندم على فعلته وأن يسلم نفسه للجيش العثماني حيث تم إرساله إلى بغداد ولكنه إذا أصر على موقفه كانت التعليمات تقضي بالتعامل معه بشدة[٢٧] ووجه البيان نداءاً أخيراً لكل من يؤيد الحملة العسكرية بقوله:

"وأما كافة الناس الموجودين في الإحساء والقطيف والواقفين على ساق الخدمة بالفرقة العسكرية من الأهالي والعشائر والقبائل أنه مهما كانوا ماداموا لم يقفوا ضد العسكر ولا بوجه الحكومة فإنهم تحت راية الأمان وكافة أرواحهم وأموالهم وأعراضهم محفوظة بموجب أحكام الشريعة المطهرة ومصونة من كافة التجاوزات والتداخلات".

Scanned with CamScanner

وهكذا يمكننا الاستنتاج بأن السبب الرئيسي لخروج الحملة هو إعادة هيمنة الدولة العثمانية على منطقة الإحساء ونجد بعد ردع سعود الفيصل الذي اعتدى على سلطة أخوه عبد الله فاستنجد الأخير بالدولة العثمانية.

ولاشك أن إعداد الحملة لم يكن سهلاً فقد قام مدحت باشا بدرس قوة خصمه قبل أن يجازف بالجيش في منطقة مجهولة بالنسبة للعثمانيين، لا يعرفون طبيعتها الجغرافية، ولذا أحضر بعض الموظفين واشترى بهم بعض السلع وأرسلهم على سفينة آشور إلى نجد بحجة أنهم تجار، فلما أقاموا هناك شهرين ووصفوا وصفاً دقيقاً القوة الحقيقية التي يمتلكها سعود الفيصل والمناصرين له والمؤيدين لأفكاره ولاسيما قواته البحرية وعدد رجاله الموالين له، كما حدد هؤلاء الأماكن التي يمكن استخدام السفن العثمانية لها لإنزال القوات، وعرف من خلال بعثة التجسس هذه أن أنسب مكان لنزول القوات العثمانية هو رأس تنورة عند الأحساء وتجنب بذلك الطريق الصحراوي الذي كان يحمل ذكرى أليمة في نفوس العثمانيين عند مواجهتهم رجال الجزيرة العربية خاصة أن مدحت باشا كان يدرك أن العثمانيين غير مدربين على القتال في الصحراء وأنه كان لا يمتلك من الأسلحة الجديدة ما يستحق الذكر (٢٨).

وكان مدحت باشا قد أخبر السلطات العثمانية عن أوضاع الجزيرة العربية وحدثها عن تحركات سعود الفيصل فقال بأنه استولى على قطيف والإحساء حتى ساحل خليج البصرة وأخبر الصدر الأعظم بأنه قام بتجهيز بعض اللنشات البحرية مثل لنش لبنان ولنش الإسكندرية وكذلك بعض البواخر العثمانية مثل باخرة بابل وباخرة آشور وأنه قد استخدم شخصيات مرموقة مع الحملة مثل منصور بك من البصرة والشيخ سليمان الزهير (٢٩).

وقد تلقى مدحت باشا الأوامر السلطانية بالتجهيز لإخراج الحملة وحسب ما ذكره د. جمال زكريا قاسم فإن القوات العثمانية كانت تتكون من خمسة آلاف جندي(٣٠)، بينما ذكر جون كيلي أن القوات العثمانية بلغت ثلاثة آلاف جندي وألف وخمسمائة من أفراد القبائل فقط(٣١).

Scanned with CamScanner

وبهذا الصدد فإن تقدير د. جمال زكريا أقرب إلى الصواب لأننا لا نعرف عدد من خرج من أفراد القبائل بالضبط[٣٢].

وسارت حملة التأديب واستعادة السلطة والسيطرة في خط معلوم من رأس التنورة يوم الخميس الموافق ١٣ مايو ١٨٧٠م وتعطلت في الطريق بسبب تفشي مرض مخيف في المنطقة الواقعة بين البصرة وحتى رأس التنورة حيث توفي ما بين ٥٠ إلى ٦٠ شخص ثم انتشر داء الحمى الشديدة في صفوف الجنود وكانت ضحالة المياه سبباً في عدم تمكن السفن من الاقتراب إلى اليابسة ومع ذلك فإن الحملة انطلقت من رأس التنورة إلى **رحيمة**[٣٣] التي تقع على بعد أربعة ساعات من رأس التنورة وهي منطقة خالية من السكان والأبنية ولكن يوجد بها عين مياه حارة.

ومن الجدير بالذكر أن قائد الحملة نافز باشا قام باستطلاع بالمنطقة وأرسل أحد رجالة لاستكشاف الطرق المؤدية إلى قطيف فلاحظ العثمانيون أن معظم الأشخاص الذين تم الالتقاء بهم قد أظهروا نياتهم لمحاربة العثمانيون ولكن عندما بأهداف الحملة بدأوا يغيروا أفكارهم.

ووصلت القوات العثمانية إلى منطقة الصفوة التي تبعد ستة ساعات عن رحيمة ليلة الإثنين بينما كانت القوات العثمانية تسير هناك خرج الشيخ سليمان بن داود أمير الصفوة[٣٤] لاستقبال العثمانيين وكان مع سليمان قوات تبلغ ما بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ محارب، وبدأ سكان الصفوة يشتكون من المظالم التي كانوا يتعرضون لها ولفترة طويلة وتوجهوا بالشكر والدعاء للسلطان العثماني على إرسال هذه الحملة[٣٥].

وفي اليوم التالي وبعد انتشار نوايا الحملة بين المدن والقرى المجاورة للقطيف، أخذت القرى تتسابق لعرض الطاعة فجاء شيوخ وكبراء قريتي **عوامية وقضية**[٣٦] لهذا الأمر وأفادوا بأن هناك عشرة قرى أخرى ستعلن الطاعة إذا تم التعهد لهم بحمايتهم فقام على الفور نافز باشا بصياغة رسائل وإرسالها لهم[٣٧].

وقد قامت القوات العثمانية بمحاصرة **عبد العزيز آل سعود** خاصة بعد أن عرفت من جواسيسه أنه لا ينوي الاستسلام لظنه بأن القوات العثمانية عاجزة عن مهاجمته وبدأت تضربه بالمدافع وامتدت الحرب بين عبد العزيز وبين القوات

Scanned with CamScanner

العثمانية أكثر من عشرة ساعات من التاسعة صباحاً إلى السابعة مساءاً، ولما أدرك عبد العزيز أنه لا يمكن مقاومة جنود الدولة العثمانية رفع رايات بيضاء لطلب الأمان وأنزل أعلام بني سعود ورفعت مكانها الأعلام العثمانية، ومنح الأهالي الأمان، وعند وصول الجنود العثمانيين أمام قلعة الدمام فر عبد العزيز بن سعود وجرت مباحثات مع **طحنون** محافظ القلعة التابع لابن سعود لإطلاق سراح محمد شقيق عبد الله الفيصل المحبوس في القلعة وتسليم القلعة، وفي المقابل لن يتعرض أحد لأي أذى وإلا سيتم الاستيلاء عليها عنوة، فأراد طحنون أن يتأكد من الاستيلاء على قلعة القطيف حتى يسلم القلعة ويطلق سراح محمد وطلب مجيء عبد العزيز السديري أو أخيه عبدالله ليتأكد من صحة خبر السيطرة على قطيف، وهنا دخلت العساكر العثمانية في القلعة ورفعت الأعلام العثمانية عليها وأطلقت المدفعية ٢١ طلقة وتم تأمين الناس على أرواحهم، ولما استولى نافز باشا على القطيف أرسل برقية بذلك إلى مدحت باشا في بغداد، وقد أوضح نافز باشا في برقيته بأنه عقد العزم للتوجه صوب الإحساء وقام بنصب الخيام بموضع يقال له **دار وديه** وهي جدول ماء على مسافة ساعة من القطيف وبعث برسالة إلى الأمير الموجود في الإحساء من طرف بن سعود للتسليم، كما بعث برسائل إلى التجار والأعيان وأهالي الإحساء تتضمن بعض النصائح والإرشادات وأرفق بكل منها إعلاناً مطبوعاً باللغة العربية(٣٨).

وهناك وثيقة عثمانية مؤرخة بتاريخ غرة ربيع الآخر ١٢٨٨هـ/ ٣٠ يونيو ١٨٧١م، تفيد بأن أهالي الرياض قاموا بطرد عائلة سعود وأحضروا عبد الله وولوه مكانه وأعلن جميع الأهالي خضوعهم وطاعتهم له، وقد جاء في مراسلات مدحت باشا بعض المعلومات عن الإحساء حيث ذكر بأنه أهم موقع في نجد ورغم أنه أوسع وأكبر من القطيف إلا أنها ليست على قدر من الاستحكام ويميل أهلها إلى سعود الفيصل والمسافة بين القطيف والإحساء يبلغ ٣٦ ساعة(٣٩)، وللمدينة ميناء يعرف باسم **عنجيز** يبعد عنها مسافة من سبعة إلى ثمانية ساعات، وقد تمكنت القوات العثمانية من السيطرة على الإحساء بسهولة.

Scanned with CamScanner

وجدير بالذكر أن الوثائق لم تفصح عن أسباب الصراع بين عبدالله وأخوه سعود الفيصل ولكن يشتم من خلال قراءة ما بين السطور أن الدولة العثمانية متمثلة في مدحت باشا كانت حريصة على عدم دفع الأخوان للاتفاق لأنه كان لابد حتى تخرج القطيف والإحساء من يده لكثرة إيراداتها لأنها أكثر من إيرادات نجد وطالب مدحت في خطاب له بأن عبد الله الفيصل لم يحضر لمقابلة القوات العثمانية وأنه إذا استمر على هذه السياسة فإنه ينبغي توحيد الإحساء والقطيف في شكل متصرفية ومنح إدارتها لشخص من ذوي القدرة والمكانة ويكشف لنا الأرشيف العثماني رسالتين لعبد الله الفصيل وهما غير مؤرختين(٤٠) يشير بهما عبدالله السلطات العثمانية بالانتصار على أخيه سعود وأفاد بأن أهالي الرياض قاموا بطرد أقارب ابن سعود عندما علموا بقدومه فذهب أولئك لموضع يسمى **الحوطة** وهي مركز قبائل بني تميم ولكنهم طردوا من هناك، وقامت جماعة سعود بتجميع أنصارهم وأغاروا على بعض القرى ونهبوها، ولما علم عبد الله بذلك أثناء تواجده في مكان يعرف **بالرماح** سار إليهم وطردهم بالبرقية الأولى،

أما البرقية الثانية فهي رد على مراسلة أرسلت إليه بأنه عندما خرج من نجد قصد الشمال لكنه عاد بسبب عدم تحمل أهالي نجد لظلم واعتداء سعود وقال بأن نجد وتوابعها صارت من الرعايا المخلصة للسلطان عبد العزيز.

Scanned with CamScanner

الخاتمة

هكذا لم تستطع الدولة العثمانية وقت ضعفها فرض هيمنتها أو سيطرتها على الأقاليم الشاسعة التي كانت تتبعها وإن كنا لا ننكر أن رابطة الدين بين الدولة وسلطانها كانت لا تزال رابطة اتصال وليس انفصال إلا أن القوة الحقيقية لم تكن في يد الدولة بقدر ما كانت في يد الحاكم الإقليمي أو التطلعات الأجنبية.

ولاشك أن الدولة العثمانية عندما بدأت تفيق من بعض الأمور التي ألمت بها حيث ضعف جيشها وتأخر تسليحه وكثرة دخولها حروب هزمت فيها وأصبح الجيش الانكشاري عبئاً على الدولة بدلاً من أن يكون عنصر تقدم لها كما كان في البداية، ولكنه بدأ يتدخل في حكم السيادة وبدأ يتجرأ على السيطرة على السلاطين، مما كان لابد معه من مواجهة الموقف، فتخلص منه السلطان محمود الثاني ١٨٢٦م، والذي تشبه في ذلك بما قام به محمد علي بالتخلص من جيش المماليك في مصر فيما عرف بمذبحة القلعة مارس ١٨١١م، ولاشك أن الدولة العثمانية عندما أرسلت حملتها على الأحساء ساعدت في توطيد أقدامها في نجد وحمت البحرين من محاولة فارس (إيران) من التطلع للسيطرة عليه وإن كنا نؤمن أن يقظة الدولة العثمانية جاءت متأخرة إلا أنها أفادت الوضع في منطقة الجزيرة العربية والأحساء، أي أن **عودة الهيمنة العثمانية** أفاد إلى حد ما أوضاع الدول العربية وحفظت تفككها وانهيار السلطة فيها بعض الوقت لأن الدولة العثمانية نفسها سرعان ما وقعت فريسة لتمزق داخلي وانهيار عسكري وسميت **بالرجل المريض** وكانت حتماً أن تسقط الدولة بسقوط حلفائها في الحرب العالمية الأولى إلا أننا يجب أن نتذكر أن الكثير من سلطة وهيمنة وسيطرة الدولة العثمانية على العالم العربي كانت أيضاً نتيجة لعدم وجود حكام أقوياء مثل محمد علي مثلاً، وللأطماع الأوربية التي لم تستطع الدولة العثمانية أن تتصدى لها وكان حتماً أن تسيطر بريطانيا على المياه العربية والأرض العربية وأن تظهر بمظهر السيد المطاع نظراً لقوتها البحرية المتمثلة في الأسطول الذي جعلها أقوى قوة بحرية في العالم.

ولا ينسى التاريخ أنه رغم مساوئ الحكم العثماني في العالم العربي إلا أنه حماه من التفكك ومن الوقوع تحت السيطرة الأجنبية في السنوات المبكرة من نهاية القرن التاسع عشر.

Scanned with CamScanner

الهوامش والمراجع

(١) جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ص٢١١.

(٢) الدرعية بكسر الدال وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الدروع وهم بطن من بني حنيفة وكانت عاصمة الأمير محمد بن سعود بن مقرن الذي بدئ حكمه ١٧٢٦م/ ١١٣٩هـ وكانت تعتبر مدينة من مدن إمارة الرياض. أنظر: المعظم الجغرافي للبلاد العربية، السعودية، الرياض، دار اليمامة ١٩٧٧، ج١، ط١، ص٤٤٥.

(٣) إبراهيم باشا ١٧٩٠ ـ ١٨٤٨م م ، ١٢٠٤ ـ ١٢٤٦ هـ هـ. وهو ابن محمد على باشا الأكبر وكان ذراع أبيه في كل فتوحاته تقريبا وقد دعي إلى مصر مع طوسون أخيه الابن الثاني لمحمد على أشركه محمد على في الإدارة والحكم في حياته وفي بناء الجيش المصري مع سليمان باشا الفرنساوي وكان له الفضل في معظم انتصارات محمد على وبناء إمبراطوريته في الشام، وقد تنازل له محمد على عن سدة الحكم في إبريل ١٨٤٨م ـ ١٢٤٦ هـ ولكن لم يحكم إلا سبعة أشهر حيث توفى في نوفمبر ١٨٤٨، ومن الجدير بالذكر أن هناك إشاعة أطلقها بعض المؤرخون الأجانب للإساءة إلى محمد على، على أساس أن إبراهيم باشا لم يكن ابنه متعللين بأنه ابن زوجته ولكن ذلك لم يكن صحيحا قط لأن محمد على تزوج تلك الأرملة ولم يكن لديها أطفال كما تؤكد ذلك الوثائق في بلدة قوله في ألبانيا، انظر خير الدين الزركلي، الإعلام، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٩، ج١ ط٨ ص٧٠.

(٤) تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، أصبح حاكما على نجد بعد مقتل ابن عمه مشاري بن سعود وانتقل الحكم من سلالة عبدالعزيز بن محمد إلى سلالة أخيه عبدالله بن محمد وقداغتاله بن عمه مشاري بن عبدالرحمن بن سعود في عام ١٢٤٩هـ ١٨٣٣م، انظر خير الدين الزركلي، ص٤٨، مرجع سابق.

(٥) لمزيد من المعلومات حول فترة حكم تركي انظر عبدالرحيم عبدالرحمن، محمد على وشبه الجزيرة العربية، ١٢٢٤-١٢٥٦هـ هـ ١٨١٩ ـ ١٨٤٠ م م القاهرة، دار الكتاب الجامعي ١٩٨٦، ط٢ ج٢ ص ص ٢٤٧ ـ ٢٧٤.

(٦) انظر عثمان بن بشر النجدي، عنوان المجد في تاريخ نجد، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة د . ت، ج٢ ص٨٤، محمد عرابي نخله، تاريخ الاحساء السياسي، الكويت، ذات السلاسل ١٩٧٤، ص٧٢.

(٧) انظر عبدالرحيم عبدالرحمن، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٠، ط٦ ص٤٠١.

(٨) يقول لورمر بأن شيخ البحرين كان مستقلا تمام الاستقلال فيما يتعلق بالجزر التي يحكمها ولكنه كان يدفع جزية سنوية قدرها ما يقدر ٤٠٠٠ دولار للأمير السعودي نظير توفير الحماية لرعاياه في اقليم قطر ضد هجمات القبائل الموالية لابن سعودن انظر ج ج لورمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٣ قطر د.ت ص١٦٧٥. و دارة الملك عبدالعزيز، الاطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ص١٣٢-١٣٤ ومحمد عرابي نخله، تاريخ المملكة العربية السعودية، ط٣ ج ١ الرياض ١٩٩٠، ص ص٢٧٩-٢٨٠.

(٩) عبدالله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٩٠، ج١ ط٣ ص ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(١٠) محمد عرابي نخله، تاريخ الاحساء السياسي، ١٨١٨- ١٩١٣ ص١٤٠، مرجع سابق،

Scanned with CamScanner

جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٩٧، ج٢ ص٢١٥.

(١١) بضم الجيم وهي من قرى الاحساء بالمنطقة الشرقية، انظر حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ج١ ص٢٦٧.

(١٢) جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص٢١٦

(١٣) ولد مدحت باشا في مدينة اسطنبول ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢ م وسمي باحمد شفيق وكان قد حفظ القرآن في سن مبكر فلقب بحافظ شفيق، وأعطي لقب مدحت بسبب مواهبه العلمية وطغي هذا اللقب على اسمه وصار يعرف به، وتعلم اللغة العربية والفارسية منذ صغره في جامع الفاتح وتنقل للعمل سكرتيرا في مكتب الصدر الأعظم في عام ١٨٤٠ ثم عين بوظيفة محقق خاص لبعض القضايا المهمة للدولة وفي عام ١٨٥٨ طلب مدحت انهاء من منصبه وامضى ٦ أشهر متنقلا بين باريس ولندن وبروكسل وفيينا، تعلم خلالها اللغة الفرنسية وكان هذا بداية اطلاعه على أوروبا وامورها وأساليب السياسة فيها، وفي عام ١٨٥٩م أصبح مدحت رئيساً لسكرتير المجلس الأعلى للدولة العثمانية وبعدها عين واليا على نيش بدرجة وزير وذلك في عام ١٨٦١، وفي عام ١٨٦٤ نقل والياً على ولاية جزيرة طونة والتي عرفت فيما بعد باسم الدانوب، وقام بالعديد من الاصلاحات هناك وكان سبباً في انتشار صيته ورفعة مكانته عن الساسة العثمانيين، وفي ٢٧ ابريل ١٨٦٩ نقل واليا على مدينة بغداد واظهر الكثير من القدرات الماهرة في الإدارة ونجح في إعادة الهيمنة العثمانية على نجد إلا أنه اصطدم مع الصدر الأعظم الجديد في اسطنبول وهو محمود نديم باشا والذي كان يغار منه فافتعل معه تحقيقا حول إيرادات الولاية مما جعل مدحت باشا يقدم استقالته ويعود إلى اسطنبول في مايو ١٨٧٢ ولم يتركه نديم باشا في اسطنبول فعينه واليا على ادنرة ولكن عندما تولى السلطان عبدالعزيز الحكم في اسطنبول عينه صدرا أعظم خلفاً لنديم باشا في عام ١٨٧٢ إلا أن فترة صدارته هذه لم تستمر أكثر من ٨٠ يوماً حيث ظل يتنقل بين عدة وظائف لمدة أربع سنوات، وهنا بدأت الأفكار الديمقراطية تغزو الدولة العثمانية وبدأ ما يسمى بعض التنظيمات الخيرية واقبلت الدولة على مجموعة جديدة من قوانين التحديث والتحضر والمدنية استقي معظمها من أوروبا وكان مدحت باشا أحد رواد التغيير فيها وبدا يكون أول المطالبين بفكرة إيجاد دستور للدولة العثمانية، ولما مات السلطان عبدالعزيز سنة ١٨٧٦ وجئ بخليفه له هومراد الخامس والذي لم يستمر حكمه طويلا بسبب اختلال عقله، وقد تم عزله وتوليه اخيه عبدالحميد الثاني مكانه والذي قام بتعيين مدحت باشا صدرا أعظم للفترة الثانية في ١٩ ديسمبر ١٨٧٦ وصدر الدستور العثماني الأول في تاريخ الدولة العثمانية بعد أن أظهر السلطان عبدالحميد الثاني تجاوبا مع رواد الإصلاح وأعلن الدستور في ٢٣ ديسمبر من عام ١٨٧٦ وكان لمدحت باشا دوراً خطير في إصداره وأطلق عليه لقب أبو الدستور، ولكن فرحته لم تكتمل حيث أن فترة شغله منصب الصدر الأعظم لم تستمر أكثر من ٤٩ يوم ليعزل بعدها وليتنقل بين عواصم الدول الأوربية، وقد عين والي على سوريا في عام ١٨٧٨ وعزل بعد سنتين ثم عين واليا على ازمير ولما فتحت الدولة العثمانية ملف اغتيال السلطان عبدالعزيز اتهم مدحت باشا مع سبعة من رفاقه بقتل السلطان عبدالعزيز وصدر الحكم عليهم بالاعدام ولكن السلطان عبدالحميد الثاني خفف الحكم إلى السجن المؤبد وحكم على مدحت بالنفي إلى الطائف ١٨٨١ وتوفي فيها وخلف زوجتين وثلاث بنات وابن واحدا هو على حيدر وفي عام ١٩٥١ أعيدت رفاته إلى تركيا، انظر على حيدر، مدحت

Scanned with CamScanner

باشا، حياته، مذكراته، محاكمته، ترجمة يوسف كمال حتاته، وصديق الدملوجي، بيروت، إصدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٢، ط١، ولمزيد من المعلومات حوله انظر: R.H Davison. Midht Pasha "The encyclop aedia of islam leiden, 1991 vol vi PP 1031-1035.

(١٤) جون كيلي، بريطانيا والخليج، ١٧٩٥ / ١٨٧٠ ، ج٢، مرجع سابق، ص ص ٥٩٤ ـ ٥٩٥.

(١٥) البره بفتح الباء وهي قرية من قرى الخرج في منطقة امارة الرياض، انظر عبدالله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة، ج١ ص ص ١٥٨ ـ ١٥٩، حمد الجاسر، مرجع سابق، ج١ ص ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

(١٦) عبدالله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، مرجع سابقن ص٢٨٨.

(١٧) صلاح العقاد، حملة مدحت باشا في شبه الجزيرة العربية، ١٨٧ وصداها في منطقة الخليج، بحث مقدم في مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة، ٢١ـ ٢٨مارس ١٩٧٦، صدر في كتاب بعنوان "لجنة تدوين تاريخ قطر"، جـ٢، ص ص٩١٦ـ٩٣٩.

(١٨) على حيدر، مدحت باشا، حياته، مذكراته، محاكمته، مرجع سابق، ص ٢٤١.

(١٩) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن، تاريخ العرب الحديث ١٧٩٨ـ ١٩٢٠، دبي، دار القلم، ط٢، ١٩٩٢، ص ص١٧٨ـ١٧٩.

(٢٠) عبدالله سراج منسي، المواجهة العثمانية البريطانية في الخليج العربي، ١٨٦٩ ـ ١٩١٤، د.ت، ١٩٩٤، ص١٦.

(٢١) تقرير مدحت باشا رقم (١)، أنظر ملحق (١) في البحث.

(٢٢) استجابت الحكومة العثمانية لتقارير مدحت باشا وأرسلت سفينتين صغيرتين هما: أزمير وبورصة بهدف إعادة تأهيل الترسانة العسكرية بالبصرة وزيادة عدد الجنود والضباط فيهما، ولعل من الجدير بالذكر، أن تقارير مدحت باشا لأول مرة تتعرض لفساد الضباط الموجودين بالبصرة حيث كان مما ذكره عن أحد هؤلاء الضباط برتبة نقيب كان يطلب من شيوخ البحرين والقطيف الهدايا ويفرض عليه ما يشبه الإتاوة، وذكر أن هذا الضابط وأمثاله لا يصلح للعمل، وختم في تقريره قائلاً بأن أكثر الموجودين في ترسانة البصرة على هذه الشاكلة فهم إما غير مؤهلين للعمل، أو من أصحاب الصفات الذميمة، وطالب بتغييرهم مراراً ولكن لم يجد مجيباً للكثير مما كان يطالب به، أنظر ملحق رقم (٢) في نهاية البحث.

(٢٣) أنظر: تقرير مدحت باشا، ملحق رقم (٢).

(٢٤) كانت قوتها تبلغ ٥٤٠ حصاناً وتم إحضارها إلى البصرة عن طريق السويس وقد تم الإبقاء على الربان الإنجليزي وطاقمه الذين أتوا بها من لندن لأنه لم يكن هناك من العثمانيين من يقوم بتشغيلها ولكن تم استبدال الملاحين بآخرين من العرب من رعايا الدولة العثمانية ومن أهالي المنطقة، وكانت السفينة يعمل بها عشرة جنود مدفعية، أنظر: تقرير مسعود بك رقم (٢١) في الملاحق.

(٢٥) كانت الدولة العثمانية في سياساتها لدى رعاياها العرب بشكل خاص تعتمد على الفرقة بين أصحاب السلطة والتدخل بين الأخوة لتضمن لنفسها في النهاية استمرارية التحكم والحكم وهي هنا تحاول التظاهر بخدمة نظام الحكم ولكنها في الحقيقة توقع بين الأخوين سعود الفيصل وعبد الله الفيصل والسلطة كانت تستقطب كل منهما بالتضحية للصالح العام

Scanned with CamScanner

من أجل المصلحة الشخصية للدولة.

(٢٦) قررت الدولة العثمانية في ١٨٤٨ إضافة جيش جديد أطلق عليه الجيش الثالث وانضم إلى جيوشها الخمسة وكان يعرف باسم الجيش السلطاني، واتخذ من ميزانية بغداد مركزاً له، وقد حمل بعض ولاة بغداد مهمة قيادة هذا الجيش، أنظر: جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، ١٨٦٩- ١٩١٧م، ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩١، ص ص٦٩-١٧٩-٢٧٩.

(٢٧) صدر هذا البيان باللغة العربية في ربيع الأول ١٢٨٨هـ، مايو – يونيو ١٨٧١م.

(٢٨) علي حيدر باشا، مرجع سابق، ص ص٢٤١-٢٤٢.

(٢٩) عبد العزيز نوار، حول مدحت باشا، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، غير منشورة، ١٩٩٤.

(٣٠) جمال زكريا، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جـ٢، مرجع سابق، ص٢٢٠.

(٣١) جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠، جـ٢، مرجع سابق، ص ص٦٠٠-٦٠٤.

(٣٢) فيصل عبد الله الكندري، الحملة العثمانية على الإحساء، ١٢٨٨هـ، ١٨٧١م، من خلال الوثائق العثمانية.

(٣٣) الرحيمة: بفتح الراء وكسر الحاء، وهي من مدن المنطقة الشرقية، أنظر: حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للمدن العربية، جـ١، السعودية، ص٤٩٣.

(٣٤) الصفوة، أو الصفواه: هي من قرى القطيف من المنطقة الشرقية، حمد الجاسر، المرجع السابق، ص٦٩٩.

(٣٥) فيصل عبد الله الكندري، مرجع سابق، ص٦٥.

(٣٦) العوامية: بفتح العين وتشديد الواو، هي من قرى القطيف بالمنطقة الشرقية، حمد الجاسر، مرجع سابق، ص٨٦٢.

(٣٧) فيصل عبد الله الكندري، مرجع سابق، نفس الصفحة.

(٣٨) تقرير نافز باشا بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٢٨٨هـ، ١٤ يونيو ١٨٧١م، أنظر ملحق رقم (٥) في الهامش.

(٣٩) أنظر: أمير مكة، بتاريخ غرة ربيع الأول ١٢٨٨هـ/ مايو – يونيو ١٨٧١م، رقم الملحق (٧).

(٤٠) أنظر: تقرير مدحت باشا بتاريخ ٢ ربيع الآخر ١٢٨٨هـ/ ٢١ يونيو ١٨٧١م، رقم الملحق (١١).

Scanned with CamScanner